جذور الصراع

obeikan.com

obeikan.com

البنية الديموغافية (الخصائص)

السودان بلد شاسع المساحة ومترامي الأطراف وتتعدد فيه الأجناس ، وذلك نتيجة للهجرات التي انصبت عليه من قارتي آسيا وأفريقيا وغيرها من البلاد الأخرى كما أن مساحة السودان تبلغ مليون ميل مربع تقريباً ، وهو أكبر دول أفريقيا من حيث المساحة والتي تبلغ ربع مساحة أوربا .

وتحيط به تسع دول هي مصر ، ليبيا ، تشاد ، أفريقيا الوسطى ، الكنغو ، أوغندا، إثيوبيا ، وإريتريا وكل هذه الدول المجاورة للسودان يفصلها منه حدود سياسية وليس هنالك حدود طبيعية بينه وبينها إلا المملكة العربية السعودية التى يفصلها مع السودان البحر الأحمر .

كل هذه الظروف جعلت هذه الدولة عبارة عن إقليم داخل القارة الأفريقية خاصة بعد تداخل أجناس هذه الدول مع السودان وهو نتيجة الحدود المفتوحة والشاسعة مع الكوارث الطبيعية التي أصابت دول الجوار وأيضًا الحروب الداخلية لتلك الدول المجاورة وغير المستقرة سياسياً اصلاً .

ويقع السودان فى مصاف الدول التى ليس لها مثيل من حيث المساحة والتعدد الإثنى والثقافى فضلاً على أن السودان يتأثر بالدول المجاورة له من جوانب كثيرة مثل الحروب التى تقع فيها بجانب حربه التى يقودها داخلياً منذ الاستقلا ل فى الجنوب ، بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية فى تلك الدول ، ومن هذا يمكن أن نعتبر حدوده السياسية هى من أبرز المكونات التي تساعد فى وجود الصراع .

السودان دولة واسعة وتتقارب فيها طبيعة الأرض والمناخ كما تهطل فيه الأمطار بنسب متفاوتة وقد تنعدم فى بعض المناطق احياناً .

ويفقد قدراً غير قليل من المياه بسبب التبخر من مياه نهر النيل ، خاصة شمال خط ١٨ درجة، وتتزايد نسبة الأمطار فى فصل الخريف وهذا يؤدى إلى انخفاض فى معدل درجة الحرارة، ويكثر نمو الحشائش والأشجار كلما اتجهنا جنوباً وفى شرق السودان خاصة على سواحل البحر الأحمر تهطل الأمطار فى فصل الشتاء، وتنحدر مياهها من الجبال والتلال وتروي الوديان والمنخفضات حيث تستغل مياه هذه المنطقة فى ري الأراضى الزراعية والمراعى بواسطة قبائل البجة متمثلة فى كل قبائل الهدندوة والبنى عامر والبشاريين والأمرار ، كما أن غالبية الهدندوة يقطنون نهر القاش وتسكن قبائل مختلفة فى خور بركة خاصة الأرتيقة والبنى عامر أيضًا بجانب خليط من المصريين والأتراك الذين كانوا ينفون إلى طوكر فى عهد محمد على باشا، ويعتبر نهر القاش وخور بركة من أهم المناطق الزراعية فى تلك المنطقة خاصة فى السنوات التي يفيض فيها خور بركة ويكثر فيها أيضًا هطول الأمطار فى فصل الخريف فى المناطق المجاورة [١] .

وشمال السودان يتميز بالجفاف والطابع الصحراوي وقسوة الطبيعة ، كما نجد النوبيين وغيرهم من القبائل التي تعيش على ضفاف النيل وتعتمد على الزراعة التقليدية، وخاصة المحس والسكوت والدناقلة والشايقية والمناصير والرباطاب، وحرفة أهل الشمال هي الزراعة لا غير .

وفى المنطقة الوسطى والتي تقع بين خطى عرض (١٨ - ١٠) درجة تقوم المشاريع الزراعية للقطن والقمح والفول وغيره على شواطئ النيلين الأزرق والأبيض، ونهر عطبرة والدندر، والرهد، وتكثر الكثافة السكانية وكذلك مشاريع الزراعة المطرية للقطن والذرة والدخن والسمسم والفول من مناطق القضارف

(١) على حسن عبدالله . الحكم والإدارة فى السودان . دار المستقبل . ١٩٨٨م . ص٣٧ – ٣٨ .

والدالى والمذموم والدمازين بجانب امتهان القبائل مهنة الرعى، وتنمو فى هذه المنطقة غابات الصمغ العربى، وغالبية السكان من قبائل العرب الرحل التى تهتم بتربية الأبقار والجمال والضأن، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من النوبة والفور والبرته والزقاوة ...الخ .

ويقع الجزء الجنوبى من السودان وراء خط عرض (١٠) درجة، ويمتد حتى حدود الكنغو وكينيا، وأيضًا تهطل الأمطار الغزيرة وتنبت الغابات الكثيفة وتكثر المستنقعات كما تقطنه أعداد كبيرة خاصة القبائل الأفريقية، ويهتم النيليون منهم وهم الدينكا والنوير والشلك بتربية الماشية، كما يعتمد بقية القبائل الأخرى فى جنوب السودان على الزراعة المتنقلة Cultvation Shifting وأدخلت حديثاً فى الجنوب بعض المشاريع الزراعية وذلك لتنمية إنسان الجنوب و أهمها مشروع الزاندي لزراعة القطن وكذلك مزارع البن والشاى والتبغ والأرز بالإضافة أن هنالك دراسات قائمة وواسعة لإمكان زراعة السكر .

ينقسم ا لمناخ فى السودان إلى أربعة فصول فى السنة وهي :

- ❖ الشتاء (بارد جاف)
- ❖ الصيف (حار جاف)
- ❖ الخريف (حار ممطر)

وفصل حار رطب بعد الخريف وقبل الشتاء وهو مايسمى بالـ(الدرت) وهو موسم الحصاد فى السودان لأن الزراعية فى السودان تقوم على أساس موسم الأمطار .

وتهب الرياح الشمالية فى فصل الشتاء والجنوبية فى فصل الخريف وتتقارب درجة الحرارة القصوى فى كثير من الأحيان ويتراوح هطول الأمطار مابين الانعدام و١٠٠٠ مليمتر فى السنة ماعدا فى فترة فصل الخريف التى تجد فيها البرك

والنباتات وتذبل الأشجار لارتفاع درجة الحرارة وكثرة التبخر .

كما أن التربة فى السودان تنقسم إلى عدة أنواع مما صنع تداخل رعوي وزراعي وهي كالاتى :-

- التربة الصحراوية
- التربة الرملية (أراضى القوز)
- التربة الطينية المتماسكة
- التربة الطينية المشققة
- التربة الجبلية

والملاحظ أن هذه الخواص الطبيعية السابقة الذكر المتمثلة فى التنوع المناخى وتباين فى خواص التربة كان من الممكن أن يجعل السودان من أغنى دول العالم فى جميع المجالات ولاسيما الزراعية والرعوية منها وإذا اصطحبنا معنا تلك الخواص الطبيعية حيث يمكن زراعة أنواع متعددة من المحاصيل على مدار السنة ولكن الواقع المعاش عكس ذلك تماماً وذلك بسبب الصراعات والحروب التى أنهكت المواطن البرئ وروعت مضجعه كثيراً مما خلق حالة سياسية غير مستقرة فى البلاد . منها على سبيل المثال حرب الجنوب التي بدأ رحاها منذ الاستقلال بضع سنين والتي راح ضحيتها ملايين من الأبرياء الذين صاروا فريسة بين الموت والتشرد وهذه الحرب كان لها دورها الواضح وأثره ا فى السياسة الداخلية للبلاد على الرغم مما وضع لهذه الحرب من خطط استراتيجية الا أنها قد ذهبت مع الرياح ووقف أمام بعض الخطط ولا سيما – لتنموية – منها تردى الأوضاع الاقتصادية وانعدام رأس المال حيث عجزت كل الميزانيات التي وضعت عبر الحكومات المتعاقبة منذ الاستقلال وحتى أن من وضع ميزانية متوازنة بسبب هذه الحرب ولم تخرج حتى الآن من نفق (ميزانية الحرب)

أما السبب الآخر الذي أدى إلى عدم استقلال السودان لموارده السابقة الذكر والاستفادة منها فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية الصراعات القبلية الناتجة من تداخل الحدود السودانية والدول المجاورة له، خاصة أن هذه الحدود هي حدود خلقها الاستعمار منذ بداية القرن العشرين ، وكانت وباء على هذا الشعب لأنها تسببت فى نزوح أعداد كبيرة من القبائل على شكل هجرات من دولها إلى داخل السودان مما تسبب كذلك فى صراعات بينها وبين القبائل السودانية ولا سيما فى مناطق الرعى والزراعة فضلاً عن الصراعات القبلية الداخلية التى أدت إلى نزوح داخلى من الريف إلى المدينة. وبنظرة استقرائية تعطى خلفية لتلك الملامح السابقة نستطيع أن نستخلص الآتي [1] :

إن السودان هو أكبر دولة فى القارة الأفريقية حيث تبلغ مساحته بالكيلو مترات المربعة ما يقرب عن (٢.٥٠٠.٠٠٠)، ويمتد من الجنوب إلى الشمال لمسافة قدرها (٢٠٤٠) كيلو مترًا ومن الغرب إلى الشرق لمسافة قدرها ١٥٣٠ كيلو مترًا وللسودان حدود دولية يبلغ طولها نحو (٧٥٨٠) كيلو ويتميز بأنه تحاط به تسع دول هذا مما يشكل عبئًا أمنيًا وسياسيًا واقتصاديًا عليه، والدول هي : مصر . إثيوبيا. إرتيريا ، كينيا . الكنغو . أفريقيا الوسطى . تشاد . أوغندا . ليبيا .

وعلى الرغم من أن التاريخ يكشف لنا قدم السودان الذي يرجح تاريخه منذ عصر المملكة الوسطى (٢٠٠ – ١٦٠٠ق.م) فإن حدوده الحالية لم توضع فى ذلك العهد ولكن قد تم تسويتها بصفة عامة بعد قيام الحكم البريطانى المصري الحكم الثنائي الذى وضع الحدود فى عام ١٨٩٩م ومن الواضح وضوحاً لايخفي على أحد مدى الدور الذي لعبته القوي الأوروبية إبان الفترة الاستعمارية حيث تم وضع الحدود الحالية للسودان، وقد ظهر ذلك جلياً فى الدور الإيطالى فى تعيين حدود السودان مع تشاد وجمهورية أفريقيا الوسطى وبلجيكا فى تسوية حدودنا مع زائير (الكنغو حالياً)،

(١) مرجع سابق ، ص٨٥.

أما الحدود مع أوغندا وإثيوبيا ومصر فقد قام بهذا الدور بريطانيا .

ولابد أن نشير إلى شيء مهم ألا وهو أن مرحلة ترسيم الحدود تتم عبر عمليات تسوية بين دولة وأخرى تخضع إلى إجراءات تتم فى مراحل وهذه المراحل، تبنى على ثلاثة أطوار: أولاً طور المشاورات وغالباً ما تنتهي بوضع معاهدة يتم على نهجها تعيين الحدود فى صيغة وصف عام أو وصف تحليلي . أما الطور الثانى وهو وضع أو تحديد الحدود على الأرض، وهذا الطور يتطلب قيام لجنة من الجانبين لكي تضع وصفاً دقيقاً لكل علامة، ويتم هذا العمل بواسطة برتوكول للحدود يوقعه الجانبان وفى الطور الثالث هو طور الاستقرار والإشراف الإدارى، ويتم ذلك من قبل كل دولة داخل الحدود التي تم الاتفاق عليها فى مضمون المرحلة الثالثة، وفى هذا الإطار يمكننا استصحاب هذه النقاط الثلاثة التى اتبعت فى ترسيم الحدود لنقرأ بها واقع الحدود مع الدول المجاورة للسودان .

الحدود مع إثيوبيا

أبدى منليك ارتياحه لاحتلال السودان وأزالت الحكومة التى كانت سبباً فى مقتل سلفه إلا أنه كان أقل تعاونا مع إيطاليا فى الوصول إلى حلول مرضية للجانبين على الرغم من قيامه بكتابة خطاب سلس العبارة للسردار يهنئه فيه بالفتح والقضاء على المهدية ويشكره على إطلاق سراح الأسرى الأحباش الذين كانوا فى سجن أمدرمان، فقد ظل يراوغ ويطاول فى المفاوضات التى جرت بينه وبين المستر هارتجتون معتمد بريطانيا فى أديس أبابا وظل رؤوسه يعتمدون على الأراضى السودانية من جهة جبيلا والقلابات وفازوغلى بنى شنقول إذا تركها للحبشة، على الرغم من أنها كانت جزءاً لا يتجزأ من السودان لتثبيت منليك بها وهي مشهورة بالذهب، من المرجح أن ذلك التساهل كان نتيجة لمنح الإمبراطور للمستريت مندوب إحدى الشركات الإنجليزية امتياز استغلال تلك المنطقة [1].

(١) على حسن عبد . مرجع سابق ص٧٨.

الحدود مع إريتريا :-

كانت إريتريا فى الماضي مستعمرة إيطالية وأصبحت فيما بعد جزءاً من إثيوبيا، فقد كان مسلك الحكومة الإيطالية منذ البداية مسلك التعاون والرفاق وبعد مفاوضات بين إنجلترا، وإيطاليا، حيث تقابل اللورد كرومر مع وزير الخارجية الايطالية فى روما واتفق الاثنان على تفويض حاكم السودان العام وزميله لتعيين الحدود، وقد تم ذلك ويبلغ طولها ٢٢١٠ كيلومترات تقريباً، وهى تنقسم إلى ثلاثة أجزاء حددتها معاهدات وبروتوكولات انتهت فى فترات زمنية [١]

الحدود مع جمهورية أفريقيا الوسطى :-

يبلغ طول هذه الحدود (١٠٧٠) كيلو متر تقريباً، وتحكمها برتوكول الحدود الذي تم توقيعه بين السودان (الإنجليزي المصري) وأفريقيا الاستوائية التى كانت تضم دولتي الحدود الآتية، وهى أفريقيا الوسطى وتشاد، وكانت فى ذلك الوقت يطلق عليها أفريقيا الاستوائية (الفرنسية) في (١٠ يناير ١٩٢٤م) وعلى الرغم من أن هذين الدولتين قد نالتا استقلالهما فى عام ١٩٦٠م وانقسمتا إلى دولتين هما تشاد فى الشمال وجمهورية أفريقيا الوسطى فى الجنوب ، فإن بروتوكول الحدود لسنة ١٩٢٤م ما زال هو المنظم للحدود [٢]

الحدود مع زائير (الكنغو) :-

يبلغ هذه الحدود ٦٦٠ كيلو مترًا تقريباً وقد نظمها بموجب الاتفاق المبرم بين بريطانيا والكنغو الحرة ملك بلجيكا فى ١٧ مايو ١٨٩٤م، وقد جاء فى ذلك الاتفاق أن الحدود بين البلدين تتبع تقسيم المياه بين حوض النيل، وحوض نهر الكنغو .

(١) مرجع سابق .

(٢) راجع المرجع السابق .

الحدود مع ليبيا :

يبلغ طولها ٣٨٠ كيلومترًا تقريباً. وتبدأ من تقاطع خط طول ٢٥ مع خط العرض (٢٢درجة)، ثم تسير جنوباً إلى تقاطع خط العرض (٢٠درجة)، ثم تسير غربا مع خط العرض (٢٠درجة) إلى تقاطعه مع خط الطول (٢٤) ثم تسير جنوباً مع خط الطول (٢٤درجة) إلى تقاطعه في نقطة التقاء حدود السودان مع تشاد ا لتى تقع عند تقاطع خط (٢٤درجة) مع خط العرض (١٩درجة و ٣٠دقيقة) وقد سبق تحديد هذا الملتقى بموجب بروتوكول الحدود لسنة ١٩٢٤م بين السودان وأفريقيا الاستوائية بتعيين الحدود بين السودان وليبيا بوضعها الحالى بموجب الاتفاق (الإيطالي) – (البريطانى المصري) الذي تم التوصل إليه في ٦ يوليو ١٩٣٤م بتبادل المذكرات بين كل من السفير البريطاني والسفير المصري ورئيس الحكومة الايطالية [١]

الحدود مع جمهورية مصر العربية :

يبلغ طول هذه الحدود (١٢٦٠) كيلومترًا تقريباً ، وتم تعيين الحدود بين مصر والسودان بموجب معاهدة ١٩ يناير ١٨٩٩م بين كل من مصر وبريطانيا وقد نصت المادة الأولى من تلك المعاهدة على أن كلمة السودان تعنى الأقاليم التى تقع جنوب خط عرض ٢٢درجة، ولم تحدد المعاهدة بداية ذلك الخط من الناحية الشرقية، علماً بأنه يبدأ من ساحل البحر الأحمر حتى نهايته من الناحية الغربية .

الحدود مع أوغندا :-

لقد سويت الحدود مع أوغندا دون إثارة أى نزاع ويبلغ طولها (٤٦٠) كيلومترًا تقريبا، ويحكم الحدود بين السودان وأوغندا أمر وزارى بأمر مدير المستعمرات البريطانى رقم ٢٤١ لسنة ١٩٤١م الصادر في ٢١ أبريل ١٩١٤م، والمعروف بخط

(١) راجع المرجع السابق .

أوغندا ١٩١٤م .

تعتبر حدود السودان من الناحية الطبيعية حدودًا منفتحة على الجميع بكل المعايير، وهو فى مجمل ذلك عبارة عن صحن سهل الدخول والخروج منه لاعتبارات كثيرة، منها أن الدول المجاورة للسودان دول غير مستقرة من الناحية السياسية باستثناء مصر .

أما إذا أخذنا مسألة الحدود هذه من جانب التأثير والتأثر، سواء كان سلباً أو إيجاباً نجد أن هنالك مشكلات كثيرة قد نجمت بيننا وبين مصر كقضية حلايب التي شكلت توتراً بين البلدين كاد أن يتطور لنشوب حرب بين البلدين لولا تدخل بعض السياسيين من البلدين والحريصين على حفظ العلاقة الأزلية بين البلدين هذا من ناحية الحدود الشمالية، أما الحدود الشمالية الغربية، بالتحديد حدودنا مع (ليبيا) فتتميز حدودنا معها بعدم وجود نزاع حيث تفصلنا بينها الصحراء الكبرى إلا أن السودان لم يسلم من عنتريات ليبيا والتى تبنت فلسفات عدة وتغلب رأى القوى الحاكمة فيها تارة تتوجه نحو المعسكر الشرقى وتارة أخرى نحو المعسكر الغربى، ومن جانب آخر تتصنل من عروبتها (تقديم استقالتها من الجامعة العربية) وتتعلق فى إفريقيتها (فكرة الاتحاد الأفريقي)، ثم تعكس ذلك تارة أخرى . أما حدود السودان مع أوغندا فحدث ولا حرج فهى تتسم بالتوتر الدائم نتيجة للتدخل الإسرائيلي المباشر ونفوذه فيها حتى يشكل ورقة ضاغطة على الدول العربية، ولفك وإيجاد سوق لترويج منتجاتها التجارية فأوغندا تمثل عمق استراتيجي للسودان فى حربه الأهلية الدائرة فى الجنوب، حيث تنطلق منها حركات التمرد وإيوائها لها، مما اضطر السودان معاملة أوغندا بالمثل عندما أوت المتمردين على الحكومة الأوغندية فى الأرض السودانية (جيش الرب) أما حدودنا الشرقية والتى حدث فيها كثير من الإضطرابات نتيجة عدم الرؤية الواضحة فى الحد الفاصل فى الحدود ولاسيما إريتريا التى كانت جزءًا من إثيوبيا

وتصارع من أجل التحرير الذي نالته فى تسعينيات القرن العشرين بدعم غير مباشر من السودان، مما أدى إلى سقوط نظام منجستو بعد ذلك إلا أن إريتريا لم تحفظ هذا الجميل للسودان، ونتيجة للضغوط الخارجية عليها عكست سياستها اتجاه السودان حيث أوت المعارضة السودانية، بل ذهبت أكثر من ذلك حيث فتحت أراضيها على مصراعيها لحركة التمرد للانطلاق منها لضرب أهداف سودانية مما أدى ذلك إلى تأزم العلاقات بين البلدين إلى الآن .

أما إثيوبيا كان للاستقرار السياسى – إلى حد ما – الذى حدث فيها أثر فى توازن العلاقة بينها وبين السودان، بل شهدت الآونة الأخيرة عودة طوعية للاجئين الإثيوبيين الذين لجأوا للسودان فى فترات الحروب والمجاعة التي حدثت فى بلادهم .

أما الغرب حيث حدودنا مع تشاد، فقد شهدت الحدود السياسية توترًا بين البلدين وصل إلى الحد من زعزعة الأمن السودانى الداخلى، فعدم الاستقرار السياسى فى تشاد انعكس وألقى بظلاله السالبة عليه، حيث هاجرت كثير من القبائل التشادية إلى السودان على شكل أفواج واستوطنت فى جميع أنحاء السودان ولاسيما فى شرق السودان ووسطه وعربه ، بل كانت لهذه الأفوج صراعات فى بعض المناطق الزراعية والرعوية .

من هذا نخلص إلى أن هذه الحدود لها أثرها المباشر وعير المباشر فى الصراعات القبلية الناشئة فى السودان مما أثر فى تشكيل البنية الاجتماعية والسياسية والثقافية فى السودان .

القبائل فى السودان :

يعتبر السودان الدولة الوحيدة التي بها تمازج قبلى شبه متقارب من نواحٍ جمة ، فيه القبائل التي دخلت إليه منذ انتشار الإسلام وفتوحاته، وقد بدأت الهجرة إلى السودان منذ أوائل القرن العاشر الميلادى حيث دخل العرب السودان عبر طريق

الأربعين حاملين معهم ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وقد استقر بهم الحال غرب السودان ووسطه وشماله، وهنالك قبائل النوبة مع العرب فى انصهار تام لا تستطيع التفرقة بينهم فى بعض الأحيان خاصة فى التمازج الثقافى والعادات والتقاليد .

ونستطيع أن نقول أن السودان ثلاثة أجناس، وهم الساميون والحاميون والأفارقة . الساميون هم العرب وهم عرب البقارة بغرب السودان الذين جاءوا من الجزيرة العربية، والحاميون هم قبائل البحة والهدندوة، أما الأفارقة فهم الزنوج من أصل أفريقي .

وتشير الدراسات إلى أن مجموعة القبائل السودانية يبلغ (٥٩٧) قبيلة تنحدر أصولها من ٥٦ مجموعة ولكل منها لغته ولهجته الخاصة، وأوردت الدراسات أيضًا أن الغالبية العظمى من سكان السودان بتنوعه الإثنى يدينون بالإسلام . وهناك مسيحيون ووثنيون، فالمسيحيون يتمركزون فى جنوب السودان وغربه (جبال النوبة) ويشكلون ٣٪ من جملة سكان السودان، غير أن الجزء الأكبر من المسيحيين يتمركز فى جنوب السودان حيث يشكل المسيحيون نسبة ١٧٪، بينما يشكل المسلمون ١٨٪ من سكان الجنوب والبقية (٦٥٪) هم وثنيون ويعتقدون فى الطقوس المحلية .[١]

(١) محمد محمد أحمد كرار . انتخابات وبرلمانات . بدون تاريخه . ص٣- ٥ .

obeikan.com

أسباب الصراع

وبعد أن تعرفنا على المكونات والخصائص فى السودان من حيث السكان والتربة والمناخ والحدود نقف عند أسباب الصراع ودوافعه التى تعتبر الهيكل الذي يقوم عليه هذا الكتاب .

وقد خلصنا إلى مجموعة معوقات شكلت البنية الأساسية لهذا الصراع قسمناها إلى ثلاثة أجزاء وهى: جذور الصراع، العوامل الداخلية والخارجية، وإشكالية الصراع، وسوف نقوم بتحليلها كلا على حده . أما الصراع القبلى فيوجد فى مناطق متفرقة من السودان ويرجع ذلك لظروف تاريخية وجغرافية، ويعتبر الصراع على الأطيان والمراعى ومصادر المياه والصراع حول الإدارة الأهلية التى كانت تمثل جزءًا أساسيًا من الحكم السياسى فى الحكم فى السودان، وهي أحد أهم أسباب هذا الصراع، وكذلك الصراع القبلى الموجود فى شرق السودان بين قبائل الرشايدة الثلاث وقبائل البجة، وأيضًا هنالك تدفق اللاجئين الإريتريين على شرق البلاد، مما زاد من حدة التدهور الأمنى بالشرق، وهناك الصراع القبلى الذي يشكل أحياناً تهديداً أمنياً للبلاد، وهو يتركز فى مناطق التماس بين الشمال والجنوب كنزاع قبائل الصبحة العربية، وهي قبائل رعوية وقبائل الشلك والمسيرية والدينكا وعرب الحوازمة والنوبة فى جنوب كردفان، وهي تعتبر قبائل محادة بمناطق التماس خاصة أن الحركة الشعبية لتحرير السودان لها دور فى زعزعة الأمن وتحريض القبائل، مما ساعد على التهاب تلك المناطق. وقد ساعدت الحركة

الشعبية لتحرير السودان والجيش الشعبي لتحرير السودان فى أزكاء نار الفتنة بين القبائل والتي تنتمي إلى الجنوب، كما أن هذه الحركات تنهب الأبقار العربية باسم القبائل الجنوبية، وتجد مأمن من قبل القبائل الجنوبية فى إيوائها: ثم ظلت حركة التمرد تسعى لاستقطاب مزيد من التأييد لنشاطها خارج الولايات الجنوبية بدءاً بجبال النوبة فى جنوب كردفان وبعض المناطق التي أطلقت عليها المناطق المهمشة مثل مناطق الأنقسنا والبجة ودارفور وذلك لتحرك فيهم النزعة الإثنية، وقد دفعت الحركة ببعض أبناء جبال النوبة إلى الانخراط فى صفوفها وأيضًا أبناء الأنقسنا والبجة، وساعدتهم للقيام بأعمال تخريبية على الشريط الحدودى مع إريتريا وزرع الألغام وقصف القرى الآمنة ، ونهب ممتلكات المواطنين، مما دفع بالمواطنين هنالك للنزوح للمدن الكبرى، وقد ظلت الحركة الشعبية لتحرير السودان والجيش الشعبى لتحرير السودان فى تحرك مستمر وتصعيد النزاعات والهدف من وراء ذلك استنزاف موارد وقدرات الدولة .

وضعت حركة التمرد كميات هائلة من بنادق الكلاشنكوف والـ(ج٣ – ٤) ومدافع الهاون فى أيدى بعض سلاطين قبائل بحر الغزال دعماً لهم فى قتالهم لا المتوارث مع قبائل الرزيقات مما ساعد علي تأزم النزاع القبلي وانتشار السلاح بين الفئات المتحاربة .[1]

على الرغم من أن ولاية أعالى النيل الكبرى تعيش استقرارًا تاماً وتنظيم ربوعها تنمية زراعية فإننا نجد فى الآونة الأخيرة أن الحركة الشعبية تسعى جاهدة فى إيجاد موطئ قدم لها هنالك، وظلت تعمل على تعطيل حركة نقل الإغاثة للمواطنين المتأثرين بالحرب ونهب المواد الغذائية وأيضًا تهديد حركة النقل البرى والنهرى، كذلك تسعي لإيجاد موطئ لها نحو الشمال، وهذه الأسباب سالفة الذكر أدت إلى نشوب صراعات قبلية فى تلك المناطق كذلك الصراع بين الجارتين إثيوبيا

(١) التقرير الاستراتيجى . ١٩٩٧م . ص٣٦٧.

وإريتريا، وقد تأثر السودان بها بسبب السلوك المعادى للجارتين المتقاتلتين، وإن كانت هذه الأزمة في نهاية الأمر تعتبر في صالح السودان حيث أدى القتال إلى استقرار رئيسي على الحدود الشرقية وتوقف الدعم الإريتري للمعارضة السودانية المسلحة بشقيها الشمالي والجنوبي، إلا أن الحرب أدت لأوضاع سالبة عديدة كتعرض المواطنين وبعض القرى والمراعى الحدودية والعسكرية الحكومية لبعض الأخطار عند محاولة الأطراف المتقاتلة إجراء مناورات في أثناء القتال عبر الأراضي السودانية للالتفاف حول الطرف الآخر وتفادى مناطق النزاع الوعرة . كما أن ليس هنالك عمق كافٍ أو ملاذ للقوات الإريترية بخلاف الأراضى السودانية . وهى تنسحب بكامل أسلحتها وعتادها إلى داخلها مما يحدث عبئًا أمنيًا واقتصاديًا بالمناطق الحدودية بشرق البلاد، والجدير بالذكر دائماً ما يتبع العمليات العسكرية من تدفق مواطنى البلدين نحو الأراضى السودانية بحثاً عن الأمن مما يلقى بأعباء ضخمة على مناطق التماس فيتولد صراع قبلي بسبب التزاحم السكاني وإدخال أعراف جديدة على الثقافة المحلية .

وكما ذكرنا أن السودان ذو خصائص فريدة فى نوعه إذ وهو بلد مترامى الأطراف واسع الأرجاء وقد تلاحقت أعراق سكانه العربية والنوبية البجاوية والنيلية والإفريقية فى سماحة ووفاق فامتزجت ثقافاتهم وألسنتهم وأعرافهم عبر حقب التاريخ المختلفة إلا أن فى الآونة الأخيرة طفحت على السطح بعض الصراعات التى تلونت وتشكلت بجذور قبلية، هذا ما يعكسه حقيقة الصراع فى دارفور التي ظلت تشهد توترات أمنية ومصادمات قبلية مسلحة وأعمال نهب وسلب راح ضحيتها مئات المواطنين طوال العقدين الأخيرين، ولقد وقعت فتن دموية عديدة ونشب القتال بين التعايشة والسلامات البنى هلبا والماهرية والفلاتة والقمر والرزيقات والدينكا والعرب والفور والمساليت والعرب والفور والزقاوة، وهنالك أمر لابد أن نضعه فى الاعتبار فى شأن الصراع القبلى وهو أن هذا الصراع بلغ طور الصراع المسلح المنظم وهو ذو أبعاد استراتيجية و أجندة

خفية منذ عام ١٩٨٧م، كما أن هذه العوامل والأجندة الخفية تضافرت فى تدهور الأمن وتصعيد الإضطراب الأهلى، وهنالك أمر زاد من تنامى ظاهرة الصراع وهو تدفق الهجرات القبلية فى اعقاب موجات الجفاف والتصحر التى أصابت القارة الأفريقية خلال العقود الأخيرة مما أدى – ويؤدى – لاصطدامات عادة بوقوع نهب للماشية أو أضرار على الزراعة أو منع من السعى أو المورد لخاص، وغالباً ما يصاحب السعي للموارد في الآونة الأخيرة الصراع المفتعل من الاتجاهات الحديثة التى لها دوافعها من وراء الصراع، كما تأثرت ولايات غرب السودان بتداعيات الحرب الأهلية التشادية والحرب الليبية التشادية وذلك بحكم الجوار والتدخل القبلى مما يستدعى القبائل المتحاربة بالاستعانة بأبناء العمومة والبطون من دول الجوار، كما أن هنالك تبادل الاتهامات بوجود مخططات لإحلال قبائل أخرى خاصة فى مناطق التماس والحدود الدولية .

تعتبر مذكرة القبائل العربية التي رفعت إلى رئيس الوزراء الصادق المهدي إبان فترة الديمقراطية الثالثة ١٩٨٧م [1] هى الناقوس الذي دق بخطر تطور هذه الصراعات وكان السبب فى خروج الأجندة الخفية والتي ظهرت على السطح بجلاء الآن، فهنالك قوى تري أن دارفور جزءًا من الهلال الزنجى الذي طرحه العقيد جون قرنق وانضم إليه بعض أبناء الزنوج الذين يرون هذه الدعوى طلبًا يحقق أحلامهم في أن تصل إلى دفة الحكم فى البلاد، وفى التسعينيات من القرن العشرين .

دخلت قوي من الحركة الشعبية متسللة إلى داخل دارفور بقيادة بولاد والحلو، أما بولاد فقد قبضت عليه الحكومة وقتل فى محاكمة داخل البلاد. ولكن الحلو فر عبر الحدود إلى أفريقيا الوسطى، وتعتبر قبيلة الفور إحدى أهم القبائل التى تقوم بمعسكرات تسليح يقف من ورائها جهات خارجية وأبناءها فى الدول الغربية

(١) صحيفة الأيام . العدد ٦١٤٥ . سنة ١٩٨٧.

وداخل الحركة الشعبية .

إذا كانت تلك صور أشكال النزاعات القبلية التي تطورت إلى نزاع مسلح ومنظم فإننا لابد أن نقف بنظرة تحليلية إلى أسباب هذه النزاعات وكيف بدأت ، فالواقع السكاني يتميز بعنصرين يتم التنوع على أساس نسبة كل منهما في دم المواطن السوداني .

وإذا حددنا بنية هذين العنصرين نجده يتمثل فى الأصل الإفريقي الزنجي والأصل العربي ويعتبر الأصل الزنجي سابق في الوجود علي الأرض السودانية عن الأصل العربي، إلا أن امتزاج الأصل العربي بالأصل الزنجي تمخض عنه الوجود الإنساني السوداني العرقي المعاصر وهذا لا يعنى أن الدم العربي أو الزنجي الذي لم يمتزج وبقى زنجي نقى أو عربي لكنه دم غير سوداني فهم شركاء في أصول ومكونات الشخصية السودانية الأخرى كاللغة والثقافة والدين، ومن تلك المكونات العرقية تتضح وتتداخل خطوط التباين العرقي في السودان، ولكن الخطر الماثل من هذا التباين يكون بشكل سافر حيث يحدد السوداني موقعه من الأصلين العربي والزنجي، وهذه النقطة تعتبر من أعمق جذور هذا الصراع القبلي على الرغم من أن القبيلة فى السودان تعتبر من أضعف القبليات فى العالم ، فهي لا تعرف فوارق طبقية كما فى الهند و لا ترتبط بمذهبية دينية كما فى باكستان ونيجيريا . بل تجد الفوارق العرقية موجودة داخل العرق العربي وداخل العرق الزنجي بنفس النسب وقد لعب الاستعمار والجغرافية دور خطير فى تشكيله .

فالقبائل ذات الزنجية النقية تسكن فى مناطق جنوب السودان حيث الغابات والمستنقعات أو فى الجبال كما فى جبال النوبة، وأدى هذا التطابق العرقي مع تخلف تلك المناطق اقتصادياً واجتماعياً إلى الإحساس بالظلم والغبن تجاه المناطق المتقدمة نسبياً، والحقائق التاريخية تؤكد كذلك أن الاستعمار تسبب بصورة مباشرة فى إحداث هذا التطابق ما بين التخلف والقبائل الزنجية فى

السودان، وليس كما يظنه أبناء تلك المناطق أن هذا التخلف مرده إلى أصلهم الزنجي فسياسة المناطق المقفولة التي شرعتها السياسة البريطانية فى الجنوب كانت تمنع الشماليين العرب دخول جنوب السودان وجبال النوبة ومنع ارتداء الأزياء العربية وعدم تسمية أبناء الجنوب بأسماء عربية .. إضافة إلى عوامل جغرافية حيث يسود الجنوب الجبال وحقس ومناخ استوائي وسافانا غنية، كل ذلك ساعد على التخلف الاقتصادي والاجتماعي وهنالك الكثير من مناطق العالم يرتبط فيه التخلف ببيئات معينة (الشمال الأمريكي والجنوب- الشمال البريطاني والجنوب البريطاني وشمال العراق وجنوب العراق – وشمال لبنان وجنوبه – نيجيريا) أيضًا نجد هذه المقاييس موجودة داخل المناطق العربية نفسها فقبائل العرب الصحراوية عرب الشايقية وعرب الجعليين أكثر تخلفاً من قبائل شمال السودان التي تسكن على ضفاف النيل رغم أنهم عرقياً أنقى وأعرق من ناحية العروبة من القبائل النيلية، بل أن قبائل الرشايدة والزبيدية فى شمال شرق السودان تعتبران أكثر القبائل تخلفاً من القبائل الزنجية على الرغم من أنها أنقى عروبة وينتج من ذلك إحساس المواطن أن الصراع ناجم من تخلف قبيلته نتيجة لأصولها العرقية، وهو إحساس باطل وغير منطقي وغير واقعي في السودان .